

أبي !!

للأديبة بهية فرج الله زكي

أبي ! سلاماً من وراء دجلة ! سلاماً عليك من قلب
وحيدتك ! سلاماً من قلب جريح ! سلاماً علي الروح الساج —
في لجة الأبد ، سلاماً على الجسد الهامد في التراب !

أبي ! لقد مات أبي ، وطار البرق الحزين ينمى بقية الأمل
إلى القلب الحزين .. مات أبي ، وفي مصر نمت جذوة حياته
الناكية ، فانطماً في العراق مصباح رجائي المشتعل .. مات ، وقد
كان وهو حي رسول البسمات إلى الثغور ، فأصبح وقد مات
رسول الدموع إلى الميرون

أبي ! حتى في ساعة الموت لا أراك ! وفي ساعة الوداع
لا أطبع على جبينك القبلات ، وفي ساعة الرحيل إلى الثوى —
البعيد ، يحول دوني ودونك البحر المائج والبلد السحيق !

أبي ! يا منى النفس ، ويا روحاً ضاقت بها حدود الأرض
فطلبت فسحة الحياة في السماء . لماذا استسلمت للسكرى فتمت نوم
الأبد ؟ لماذا تركتني وحيدة وكنت بك جمماً لا يخلد .. صوني
بعلاً الفضاء ، ونجاوب أصداء الأرض والسماء . ولكنني لا أسمع
جواباً ، فإين أبي ؟

أبي ! كنت تستلهم السماء خبر الغيب ، فهل قرأت في لوح
الأجل موعد هجرتك من دنياك الفانية إلى عقباك الباقية ،
فبكيت حين تحرك بي الفطار ، وأنت الرجل الجلد الذي يسخر
بالمواصف ، وجريت مع القطار وأنت الرجل الرزين الذي تخضع —
جوارحك أبداً لمقلتك الكبير ، وأتبعني النظر الحائر وما حيرك
الدهر المضطرب بالحداثات ... بلى لقد أحسست بالموت فكنت
سر الموت عن الأحياء

أبي ! لأنك تحب العراق آثرت الرحيل إلى العراق ؛ البلد
الذي لم تبخل عليه بقلدة كبذك ، البلد الذي خلت فيه حياة
خصية لأملك الروحي ... فلماذا تركتني في وطن قلبك ونزحت
أنت إلى وطن الخلود

إلى عبده (١) فأصبح قلبي محتوماً عليه بطابع الإخلاص والقيام
بفروض الخدمة لدرجة التفاني فيها . فلو ذوبوني لم يجدوا في
تركيب صدري إلا ثلاثة أشياء : الوفاء والدعاء والولاء ، لولى النماء
كل هذا انتهى وتم على موجب الحكمة العالية حكمة ولي
النعم الذي اعتنى بتربية عبيده على هذا الأسلوب الحكيم .

تخمة الأعتاب السنية هي قبلتي التي أوجه وجهي إليها ،
وأصرف عزمي إليها . وهذا اعتقادي وهذا قولي وهذا خطي
على ذلك والله شاهد ووكيل »

وفي سنة ١٩٠٣ كف عن إصدار الجريدة فجأة ! وهكذا
كان إبراهيم بك يعطل كل جريدة ينشئها إذا مال منها غرضه
وكان يرسل في بعض الأحيان بمقالاته السياسية إلى بعض
الجرائد كاللؤيد والمفطم عندما كان يرى أن حقاً للأمة هضم
ثم أنشأ جريدة « المشكاة » باسم ابنة « السيد خليل بك
المويلحي » و « حمدي بك يكن » ولم يصدر منها إلا أربعة أعداد
فقط سنة ١٩٠٥ . وفي أواخر سنة ١٩٠٥ أعلنت صحته فاعتزل
السياسة ليعالج مرضه حتى وافته المنية في ٢٩ يناير سنة ١٩٠٦

ولقد كان المرحوم مربي الخاطر ، طيب اللسان ، شديد
الميل إلى النقد والمداعبة لا يفرق في ذلك بين قريب أو صديق
حتى قيل فيه : « لم ينج من قوارص قلعه إلا الذي لم يعرفه »
وكان مربي الفهم ، قوى الاحاطة بخفايا الأمور ، وغوامض
السياسة ، ولقد تقلب في أعمال كثيرة بين تجارية وحكومية
وصحافية وسياسية ، لكنه لم يبلغ الهدف الذي كان يرى إليه في
كل واحد منها مع شدة ذكائه وحدة ذهنه . ولعل السبب في
عدم ثباته هذا يرجع إلى طموحه إلى النجاح السريع ورغبته
في بلوغ الدرجات العلى طرفة واحدة ، فانه لو ثبت في عمل واحد
بلغ أوجه

ويجمل بنا أن نقول قبل أن نختم ترجمته إنه كان مشغولاً
بتعلم اللغات الأجنبية حتى حذق التركية ومهر في الفرنسية
وتعلم الإنجليزية في آخر منى حياته عليه رحمة الله

إبراهيم المويلحي

(١) هو أحمد بك الرئيس